واضح أن شك «واط» يقوم على دليل، غير أنه ليس إسلامياً، فمراجعنا المعتبرة، والموثوق فيها، مشكوك فيها عنده، دليله هنا نصرانى من بنى جلدته، خصم لنا، «كاتيانى» فى حولياته، لذلك فهو موثق عنده، ولكننا نسأل المستشرق، العالم، المحايد ـ فيما زعم ـ هل يجوز للعالم الباحث، المحايد أن يعتمد على مصادر الخصم للوصول إلى نتيجة سلبية، خاصة وأن الخصم غير حيادى؟ لقد أسقط الإسلام شهادة الخصم على خصمه.

إن المقدمة الكبرى لدى الاستشراق هى بطلان نبوة محمد «ﷺ»، وكل أبحاثهم إنما هى للتوفيق بين الدلائل التاريخية الناصعة على صدقه وبين مقدمتهم تلك، من أجل ذلك انتهجوا التشكيك فى حقائق التاريخ التى لا تتلاءم مع مقدمتهم.

والحقيقة أن المستشرق «واط» يقول ما لا يفعل فهو يزعم الحيدة والموضوعية والبعد عن الإساءة إلى مشاعر المسلمين، فضلاً عن تناقضه هو وليس علماء الإسلام، فهو فى الوقت الذى يوجه فيه اللوم الشديد لـ«كايتانى» بسبب نزعته الشكية المبالغ فيها، فيقول: «وليس من الصعب تصحيح مبالغاته فى الشك»[1] فى نفس الوقت يعول عليه كمصدر موثوق فيه.

ليس هذا فقط ولكنه هو الآخر ـ وكما رأينا ـ مارس «نوعاً من المبالغة فى شكوكه، ونفيه الكيفى ... ونفيه للعديد من معطيات السيرة عبر عصرها المكى»[2].

ويبدو أن «واط» أدرك تهافت شكوكه الأخيرة أمام الحقائق التاريخية، فلجأ إلى فرض الفروض، وهو منهج علمى بشرط أن يقوم الدليل عليه سلباً أو إيجاباً فهل فعل ذلك «واط»؟ لنر.

يقول: «لا شك أن المقطع القرآنى، حين ردده محمد، قد ذكره بما هو مدين به لورقة»[3].

أى مقطع قرآنى هذا الذى ذكر محمد «ﷺ» أنه مدين به لورقة؟ يجيب الكاتب بأنه: ﴿اقْرَأْ باسْمِ ربِّكَ الَّذي خلَقَ (١) خَلَقَ الإنسَانَ منْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وربُّكَ الأكْرَمُ (٣) الَّذي علَّمَ بالْقَلَمِ (٤) علَّمَ الإنسَانَ ما لَمْ يَعْلَمْ﴾ سورة: العلق.

لو قرأ أى باحث محايد هذا الكلام فى أصح الكتب لنسب قائله إلى التحامل المغالى فيه وإلى الوهم أثبتنا ـ وأثبت علماؤنا ـ أن لقاء ورقة بمحمد «ﷺ» كان اللقاء الأول والأخير، الأول أفادته النصوص ـ التى أوردناها ـ القاطعة، والأخير لأن

١ـ محمد فى مكة ص٩

٢ ـ د. عماد الدين خليل: المستشرقون والسيرة النبوية ص٦٤ ٣ـ محمد فى مكة ص٩٣